

دراسة مقارنة بين الشعر العربي والشعر الهوسوي المدون

A Comparative Study of Arabic and Hausa Written Poetry

إعداد

الدكتور يعقوب الحاج عبد الله

Yaqub Alhaji Abdullahi (Ph.D)

yaqub.abdullahi@yahoo.com

08058035554

قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، نيجيريا

مقدمة

إن الأدب نتاج فكري يؤثر ويتأثر بعوامل مختلفة، منها بيئية وثقافية ودينية وغيرها. كما تتأثر الآداب العالمية بعضها ببعض لأسباب ودواع متعددة. وقد أثر الأدب العربي وخاصة الشعر منه في آداب الشعوب الإسلامية الذين تعلموا العربية وآدابها جزء من تعلمهم للعلوم الإسلامية لفهم الدين الإسلامي، فأثرت بذلك اللغة العربية وآدابها في لغات هذه الشعوب وآدابها. والشعر الهوسوي المدون نموذج حي للتأثر بالشعر العربي من حيث الشكل والمضمون. لذلك يهدف هذا البحث إلى دراسة أوجه التأثير والتأثر بين الشعر العربي والشعر الهوسوي المدون دراسة مقارنة، تظهر جوانب متنوعة يلتقي فيها الشعران: العربي والهوسوي، متبعا في دراسة المنهج الوصفي للوصول إلى نتائج مقنعة، حيث يركز البحث في دراسة نقاط تالية: مفهوم الأدب المقارن، ونشأة الشعرين، وبحورهما، ونظام تركيب البيت فيهما، والافتتاح والاختتام فيهما، والقافية والروي فيهما، والمضمون الإسلامي فيهما.

مفهوم الأدب المقارن هو دراسة آثار الآداب المختلفة من ناحية علاقاتها بعضها بعض وبالنظر إلى تأثيرات وتأثرات ومواطن التلاقي بين تلك الآداب^١. وعند غنيحي: الأدب المقارن يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها أو ماضيها وما لهذه الصلات من تأثير أو تأثر، أي كانت مظاهر تلك التأثير أو تأثر: سواء تعلقت بالأحوال الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التي تعالج أو تحاكي في الأدب^٢.

إذا فالدراسة المقارنة تعقد بين أدب لغة قومية وأدب لغة قومية أخرى، بإظهار أوجه التأثير والتأثر بينهما، وتتبع الحقائق التاريخية التي ساعدت في تكوين العلاقة بين الأدبين المختلفين.

نشأة الشعر العربي

نشأ الشعر العربي منذ ما قبل العصر الجاهلي، وذلك منذ أوائل القرن السادس الميلادي تقريبا، لكن اتفقت الرواة على أنه لم يصل إلينا من الشعر العربي شيئا قبل العصر الجاهلي^٣.

نشأة الشعر الهوسوي المدون

نشأ الشعر الهوسوي المدون بعد اتصال الأمة الهوسوية بالإسلام وتعلموا العلوم الإسلامية ودرسوا الأدب العربي، وخاصة الشعر العربي، وفهموا قواعد نظمه، وبعد مراحل الدراسة والإتقان أخذوا يوظفون بحور الشعر العربي لقرض الشعر بلغتهم، فاتسم هذا النوع من الشعر بسمات الشعر العربي، من حيث الوزن والقافية وتركيب البيت، كما اتسم بالأفكار الإسلامية، وسموه بالشعر المدون تفريقا بينه وبين الشعر الشفهي المعروف لديهم منذ القدم^٤.

ومن أوائل العلماء الذين اشتهروا في نظم الشعر الهوسوي المدون بالحروف العربية (الكتابة العجمية) الشيخ ابن الصباغ والشيخ بن مسني، وهما من علماء كائنا

في القرن السابع عشر الميلادي، ثم تبعهما علماء آخرون بإنتاجاتهم الشعرية، وازدهر هذا الفن الشعري الجديد في عهد الشيخ عثمان بن فودي، حيث كثرت إنتاجات شعرية في التعليم وإرشاد المسلمين. وظلت كتابة هذا الشعر بالحروف العربية إلى القرن العشرين عندما احتال الاستعمار الأوروبي فحوّل كتابة لغة الهوسا بالحروف العربية إلى كتابتها بالحروف الإنجليزية^٥.

بحور الشعر العربي

البحر العروضي هو تكرار وحدة من التفعيلات أو التفعيلتين بنسب متساوية، تنبعث من هذا التكرار نغمة معينة، تعد لحنا مميزا تنسب إليه القصيدة^٦. وبحور الشعر العربي ستة عشر بحرا. وهي: الطويل والبسيط والخفيف والمديد والسريع والمنسرح والمضارع والمقتضب والمجتث والوافر والهزج والكامل والرجز والرمل والمتقارب والمتدارك.

بحور الشعر الهوسوي المدون

إن الشعر الهوسوي المدون عبارة عن صب الوحي الشعري في أوزان الشعر العربي، يتبعه في بحوره وقوافيه وتركيب أبياته. فصورة الشعر الهوسوي المدون في كتابته العجمية لا فرق بينه وبين الشعر العربي إلا في اللغة والتعبير. فاللغة والتعبير في الأول باللغة الهوسوية وفي الثاني بالعربية. فيقرض الشعر الهوسوي المدون على ثلاثة عشر بحرا من بحور الشعر العربي، وهي: المتقارب والطويل الهزج والوافر والمتدارك والرجز والبسيط والمنسرح والرمل والمديد والخفيف والكامل والمقتضب^٧.

تركيب البيت في الشعر العربي

البيت الشعري في الشعر العربي يتكون من جزئين، فالجزء الأول من البيت هو الصدر أو الشطر الأول، والجزء الثاني منه هو العجز أو الشطر الثاني، ويجوز إطلاق المصراع الأول على الشطر الأول والمصراع الثاني على الشطر الثاني^٨. وقد يأتي البيت الشعري مجزؤا أو مشطورا أو منهوكا؛ فالمجزؤ هو ما حذف عروضه وضربه، وصار ما قبل العروض عروضاً وما قبل الضرب ضرباً، والمشطور هو

ما حذف نصفه وبقي نصفه، والمنهوك ما حذف ثلثاه وبقي ثلثه. كما يأتي البيت الشعري بالتصريع، وهو أن يستوي عروض البيت بضربه في الوزن والروي، مثل قول الشاعر:

طحا بك قلب في الحسان طروب ** بعيد الشباب عصر حان مشيب
وقد يكون البيت مصمتا، وهو أن يخالف الحرف الأخير من العروض حرف الروي في الضرب، مثل قول الشاعر:

وننكر إذا شئنا على الناس قولهم ** ولا ينكرون القول حين نقول^٩
وكذلك اشتهر في تركيب البيت في الشعر العربي نظام التخميس والتربيع والتثليث وغيرها من خصائص البيت الشعري العربي.

تركيب البيت في الشعر الهوسوي المدون

يتكون البيت الشعري في الشعر الهوسوي المدون من صدر وعجز، يشبه تماما البيت الشعري العربي، ويسمى بيتا عندهم كما كان في العربية، يحاكي الشعر الهوسوي المدون الشعر العربي في نظام تركيب البيت إلى الحد الذي حدا برواد الشعر الهوسوي المدون إلى نظام تركيب البيت المثلث والمربع والمخمس. فمثال البيت المخمس قول الشاعر علي نَمْنُغِي:

بسم الله المَجِيدِ ** نَي نُونُ وَاقَا جَدِيدِ
إِنْ يَبُورُ مَنذُو حَمِيدِ ** دُو شَفَا يَوْمِ المَعَادِ
مَي سُونَسَ بَدَي بَقْنُ ثِكَبَا^{١٠}

ومثال البيت المربع قول معاذ هطيح:

أَوْرَتَا أُبْنَتَا سُنْ كِتَا ** أَدْنَعِ بَابُ مَي سُنْتَا
بَكْرَ أَيْزُ تَا ثُنَيْتَا ** حَقِيقَا بَادَ كَرِتَا بَا^{١١}

كما نجد في الشعر الهوسوي المدون نظام الترصيع، وهو أن يتخلص آخر صدر البيت بحرف روي القصيدة في البيت الأول من القصيدة. فقد ألزم كثير من شعراء

هذا الفن أنفسهم بهذا النظام كما اشتهر الترصيع أيضا في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي. ومثال ترصيع البيت قول أسماء بنت الشيخ عثمان :

مُغَوِّدِي سَرَكِي كَرِيمٍ جَلَّ مُسَمُّ هَذَا * دَيَّيْ يَنْمُ يَأْيَكُو فَيَيْنُ مُحَمَّدا
دَيِّدَكَ يَا فَيِّشِيْمُ دُفْنُ بَتَا دُكْ * دَيِّبَاْمُ النُّوْرِي نَسْرُ مُحَمَّدا^{١٢}

إن الترصيع في البيت هو تخلص صدر البيت بحرف الدال بدليل كون روي القصيدة حرف الدال، كما اشتهر هذه السنة في الشعر العربي.

القافية والروي في الشعر العربي

القافية عند الخليل هي آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك قبله، وعند الأخفش فهي آخر كلمة في البيت^{١٣}. والروي هو الحرف الأخير من القافية، تبني عليه القصيدة وتنسب إليه، فيقال: قصيدة لامية أو ميمية إذا كان الحرف الأخير لاما أو ميماء.

القافية والروي في الشعر الهوسوي المدون

إن ظاهرة القافية من ظواهر الشعر الهوسوي المدون، وهي كظاهرة الأوزان، أخذها رواد هذا الفن من الشعر العربي، فقد استخدموا أوزان الشعر العربي وقوافيه لنظم الشعر الجديد في أدبهم، يعتنون بالقافية اعتناءهم بالأوزان، ويحتفظون بها احتفاظا شديدا، حتى صارت القافية سمة من أشهر السمات التي يتميز بها الشعر الهوسوي المدون. فتختص كل قصيدة بحرف روي معين، لا يحيد عنه الشاعر^{١٤}.

استهلال القصيدة بالبسملة والحمدلة في الشعرين

مما يعد من خصائص الشعر العربي في بلاد نيجيريا منذ الفترة الأولى من نظم الشعر العربي وما بعدها هو بدء القصيدة بالبسملة أو الحمدلة، سواء في الشعر التعليمي الذي خاض فيه الشعراء النيجيريون كثيرا أو غيره من الأغراض، كالمدح والثناء. وربما أخذ الشعراء هذه الخاصية مما وصل إليهم من الشعر التعليمي من إنتاجات عصر الممالك وما قبلها. فهذا عبد الله بن فودي يستهل قصيدته في غزوة كت بالتحميد:

بدأت بحمد الله والشكر يتبع * على قمع الكفار علينا تجمعوا

ليستأصلوا الإسلام والمسلمين من ** بلادهم والله في الفضل أوسع^{١٥}
 ويستهل عبد القادر بن محمد البخاري قصيدته في التوسل بقوله:
 حمدت ربي إذ شفاني ** من الوعك الشديد وقد كفاني
 مقاسات الشدائد ذاك فضل ** برحمته على سكران جان
 وأسأله السلامة في زماني ** من البأسا وخائنة الأمان^{١٦}

وقد سلك الشعراء الهوسويون مسلك العلماء والشعراء الذين نظموا قصائد بالعربية في استهلال قصائدهم بالبسملة والحمدلة، ولا غرابة في ذلك، إذ كان العلماء والشعراء الذين حذقوا قول الشعر في العربية هم الرواد الأولون في فن الشعر الهوسوي المدوّن، كما نشأ هذا الشعر على أيديهم، فلا يكاد يشذ شاعر من شعراء الشعر الهوسوي المدوّن عن استهلال القصيدة بالبسملة أو الحمدلة. ومن ذلك استهلال عقيل علي قصيدته في فضل العلم بالبسملة:

بسم الله دَشي نَكِي فَارَاوَا ** كُومي نَكِي نَيْرُ نَفْنُ فَارَاوَا
 نَا غَيْدَ مَنذُو ءَالِ سُو دَابُوكِي ** مَاتَنُ دَيَايَايِي نَكِي تَارَاوَا^{١٧}
 ويستهل الشاعر مُودي سَفِيكُنْ قصيدته في التوبة بقوله:
 نَافَرَا دَسُنَنُ الله ** إِلَهِي نَا إِسُو دَمِنُ إِنْتُوبَا
 إندَي يَن صَلَاةِ غَانِبُمُو ** مُحَمَّدُ شُوعْبَا مَنذُنْكَ رَبَّ^{١٨}

اختتام القصيدة بالصلاة على النبي في الشعرين العربي والهوسوي

لقد دأب الشعراء الهوسويون في نيجيريا على اختتام قصائدهم بالصلاة على النبي وعلى آله صلوات الله عليه وعليهم، وبالشكر لله على ما منّ به عليهم من نظم القصيدة وختمه، اشتهر هذا الاختتام في الشعر التعليمي وفي بعض الأغراض الشعرية، مثل المدح والثناء. مثال ذلك اختتام الشاعر عمر إبراهيم قصيدته في التوسل:

بجاه من به ختمت المرسلين ** صلّ عليه يا إله العالمين

وآله وصحبه الأطهار** وتابعيهم منتهى الأعصار^{١٩}

ويختتم الشيخ محمد الناصر كبر قصيدته في المدح بالصلاة والتسليم قائلا:
أسلم من بعد الصلاة على النبي** وآل وأصحاب وسلاك سنة^{٢٠}

وإذا وقفنا عند الشعراء الهوسويين المدون في قضية اختتام القصيدة نجدهم على منهج العلماء والشعراء الذين قرضوا القصائد بالعربية في اختتام قصائدهم بالصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم، حيث تأثروا بأساليب الشعر العربي المتداول بينهم، ويوجد من بينهم من يجيد نظم الشعر العربي، وقرض قصائد ممتازة فيه قبل خوضه في مجال الشعر الهوسوي المدون، فيسهل عليه نقل أسلوب الشعر العربي المتعود عليه إلى الشعر الهوسوي. ومثال ذلك اختتام عبد الله بن فودي قصيدته في نظام الحكم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

مُغَارًا غُودِيَا مُدْبَا صَلَاتِي** غَا أَحْمَدُ مُنْشِكَا بَسْ أَرْبَعِينَ^{٢١}

المضمون الإسلامي في الشعرين العربي والهوسوي

أحدث الإسلام انقلابا عظيما في مسار الشعر العربي منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن الكريم. فسار الشعر العربي على المنهج الإسلامي في أفكاره ومعانيه، إذ لم يكن الشعر العربي منذ تلك الفترة النبوية إلا ترجمانا للثقافة الإسلامية وحضارتها، حيث انكب الشعر العربي على موضوعات ومعاني لا تتعارض مع التصور الإسلامي، وهجر موضوعات وأغراض تتعارض مع الإسلام والتي ينهى عنها. وقد استجاب كثير من الشعراء المسلمين إلى المنهج الإسلامي في قول الشعر، الذي يفهم من قوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"(الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧). فكان الشعر العربي منذ عصر النبوة في أيدي الشعراء المسلمين شعرا إسلاميا، وإن

لم يكن إسلاميا في شموله، اعتراه ما اعترى الناس من صواب وخطأ وقوة وضعف وصلاح وآثام^{٢٢}.

أما الشعر الهوسوي المدون فقد نشأ في حضان الإسلام وفي ظلال الشعر العربي، فاتجاهه ومضمونه إسلامي محض، إذ استخدم في أول نشأته في الدعوة إلى الإسلام والتمسك بتعاليمه، وخاصة في العهد الفودي وما بعده. إذا فالسمات الإسلامية هي أكبر خاصية تتميز بها مضامين الشعر الهوسوي المدون، تتجلى فيه ثقافة الشعراء الإسلامية في العقيدة والسلوك والتعبير^{٢٣}. فما الشعر الهوسوي المدون إلا انعكاسا للشعر العربي في اتجاهه ومضمونه، وتفوق على الشعر العربي في كونه إسلاميا مطلقا، إذ رواه كلهم مسلمون تقريبا، ولا بد لمن يريد الخوض في مضماره من التزود بتعاليم الإسلام ولغته العربية.

الخاتمة

أثبتت الدراسة السابقة ما للشعر العربي من أوجه التأثير في الشعر الهوسوي المدون، وجاء التأثير كظاهرة من ظواهر التأثير الإسلامي والعربي معا، إذ ظل الإسلام عاملا رئيسا في التأثير الملحوظ، فالشعر الهوسوي المدون وليد الإسلام في المنزلة الأولى ثم وليد الشعر العربي في المنزلة الثانية. وقد صنفت الدراسة تأثيرات الشعر العربي في الشعر الهوسوي المدون في تبني محور الشعر العربي لنظمه، يتبعه في نظام تركيب البيت الشعري، ويقتفي أثره في الاحتفاظ بالقافية والروي في القصائد، وكان أكبر خاصية توصلت إليها الدراسة التزام الشعر الهوسوي المدون ورواده بالتصور الإسلامي في الشعور والأفكار والتعبير. يؤكد ذلك ما للإسلام واللغة العربية من نفوذ وهيمنة على الشعوب الإسلامية ولغاتها في مراحل مختلفة وفي أشكال متنوعة. وتبقى الصلة بين اللغة العربية ولغات الشعوب الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الهوامش

- ١- حسن، جاد حسن. (١٩٧٨م) الأدب المقارن، ط٣، مصر: دار المعارف.
- ٢- القاعود، حلي محمد. (٢٠٠٦م). النقد الأدبي الحديث بداياته وتطوراته. ط١، الرياض: دار النشر الدولي.
- ٣- ضيف، شوقي. (٢٠٠٤م). تاريخ الأدب في العصر الجاهلي. ط١١، القاهرة: دار المعارف.
- ٤- عبد الله، يعقوب الحاج. (٢٠٠٩م). ملامح الأدب الإسلامي في شعر الهوسا المدون: دراسة أدبية لنماذج مختارة. بحث مقدم إلى جامعة إلورن لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية.
- ٥- المرجع نفسه.
- ٦- أبو سعده، شفيق عبد الرزاق. (٢٠٠١م). عود على بدء "دراسة في إيقاع الشعر". ط١، القاهرة.
- ٧- عبد الله، يعقوب الحاج، المرجع السابق، ص٤٩.
- ٨- أبو سعده، شفيق، المرجع السابق، ص٥٥.
- ٩- المرجع نفسه، ص٥٩.
- ١٠- عبد الله، يعقوب، المرجع نفسه، ص٨٥.
- 11- Hadeja, M.(1976). *Wakokin Muu'azu Hadeja*. Zaria: The Northern Nigeria Publishing Company.
- ١٢- عبد الله، يعقوب، المرجع السابق، ص٢١١.
- ١٣- عثمان، محمد بن حسن. (٢٠٠٤م). المرشد الوافي في العروض والقوافي. بيروت: دار الكتب العلمية. ص١٥٢.
- ١٤- عبد الله، يعقوب، المرجع السابق، ص١٨٢.

- ١٥- غلادني، شيخو أحمد سعيد. (١٩٩٣م). حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٦ م. ط٢، مصر: المكتبة الإفريقية. ص. ١١٩.
- ١٦- المرجع نفسه، ص. ١٦٣.

17- Spikin, A.M.(1978). *Tsoffoffin Wakoki da Sababbbin Wakoki*. Zaria: Northern Nigeria Publishing Company.p105.

- ١٨- المرجع نفسه، ص. ١٠٧.
- ١٩- عبد الله، يعقوب، المرجع السابق، ص. ١٨٢.
- ٢٠- المرجع نفسه.
- ٢١- المرجع نفسه، ص. ٢٠٦.
- ٢٢- بدر، عبد الباسط. مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي. ط١، جدة: دار المنارة. ص. ٨٣.
- ٢٣- عبد الله، يعقوب، المرجع السابق، ص. ١٤٢.

المراجع

- أبو سعده، شفيق عبد الرزاق. (٢٠٠١م). عود على بدء "دراسة في إيقاع الشعر". ط١، القاهرة.
- بدر، عبد الباسط. (د.ت). مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي. ط١، جدة: دار المنارة.
- حسن، جاد حسن. (١٩٧٨م). الأدب المقارن، ط٣، مصر: دار المعارف.
- ضيف، شوقي. (٢٠٠٤م). تاريخ الأدب في الصر الجاهلي. ط١١، القاهرة: دار المعارف.
- عبد الله، يعقوب الحاج. (٢٠٠٩م). ملامح الأدب الإسلامي في شعر الهوسا المدون: دراسة أدبية لنماذج مختارة. بحث مقدم إلى جامعة إلورن لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية.

- عثمان، محمد بن حسن. (٢٠٠٤م). المرشد الوافي في العروض والقوافي. بيروت: دار الكتب العلمية.
- غلادني، شيخو أحمد سعيد. (١٩٩٣م). حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٦م. ط٢، مصر: المكتبة الإفريقية.
- القاعود، حلمي محمد. (٢٠٠٦م). النقد الأدبي الحديث بداياته وتطورات. ط١، الرياض: دار النشر الدولي.
- Abubakar, D.(1997). *Zababbun Wakokin Da da Yanzu*. Lagos: Thomas Nelson, Nigeria Limited.
- Hadeja, M.(1976). *Wakokin Muu'azu Hadeja*. Zaria: The Northern Nigeria Publishing Company.
- Spikin, A.M.(1978). *Tsofoffin Wakoki da Sababbun Wakoki*. Zaria: Northern Nigeria Publishing Company.